أوائل المسلمين

١١

إسلام الحجاج السلمي

بقلم

السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام الحجاج السلمى

بقلم
السيد شحاته

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتَدى بَهدْيِهِ إلَى يَومِ الدّين .

وبَعْد :

فَهَذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئ العَزيزُ ، لصَفوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبَارَكة .

وقد جاءَتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يسْتَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظيم .

والله وليُّ التوفيق

الحَجَّاجُ السَّلَمىُّ

حَديثُنا فى هٰذهِ القِصَّةِ الخَالِدةِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، رَجلٌ صاحِبُ عَزيمةٍ مَاضِيةٍ ، وصَاحِبُ حِيلةٍ بارِعةٍ .

هُوَ الحجَّاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمى ، نَشأَ فى مَكَّةَ ، وكانَ سَببُ إسْلامِهِ أنهُ خَرجَ فى جَماعةٍ مِنْ قَومِه فى رِحْلةٍ مِنْ رَحَلاتِهم ، فأظْلَم عَليهمُ اللَّيلُ ، واسْودَّتِ الطُّرق أَمامَهُم ، فَنزلُوا فى مَكانٍ بجانبِ جَبلٍ شَاهِقٍ ، ولكنِ الخوْفَ اسْتَوْلَى عَلَيهم والرُّعبَ تمكَّن مِنْ نُفُوسِهِم . فقالَ واحِدٌ مِنْهُم :

– قُمْ ياحَجاجُ واتَّخِذْ لَنا حِيلَةً نأمَنُ بهَا ونَهدأُ ونَطمئنُّ فى هٰذهِ اللَّيلةِ الشَّديدةِ الظَّلام .

فَقامَ الحجاجُ ، وأخذَ يتْلُو بَعضَ مايعْرِفُ مِن كَلماتٍ ويطْلُبُ مِنَ اللهِ أنْ يحفَظَه هُو ، وأصْحابَه حتَّى يَرجعُوا سَالمينَ إلَى أهْلِيهِمْ ، نَاجِينَ مِنْ شرِّ الجنِّ ، وصَارَ يستعيذُ ، ويفْزَعُ إلَى اللهِ .

وبيْنَما هُو يُردِّد مايَحفظُ مِنْ كَلامٍ . ويُرتِّلُ مايَعرفُ مِنْ شِعْرٍ ، يدْعُو إلَى السَّلامة والأمانِ – بيْنَما هُو كَذلكَ إذْ سمعَ قائلاً يقولُ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

ولَم يَكنِ الحجَّاجُ قَدْ سَمعَ بهذا الكَلامِ مِنْ قَبْلُ ، ولاعَهْدَ لَه بمثْلِ هذا القَولِ الممْتازِ ؛ لذلكَ حَفظَهُ وعَلِقَ فى صَدْرِهِ ، وصارَ يُردِّده أينمَا سَارَ .

ولمَّا رَجعَ الحجَّاجُ مَعَ صَحْبه إلَى مَكَّة ذَهَب إلَى نادِى قُريشٍ كَعادتِه وجَلَسَ فى وَسَطِهم وقالَ :

– ياقوم ، لَقَد نَزلْتُ مَعَ صَحْبى بمكانٍ كَذا ، ومَلكَ الخَوْفُ عَلَينا جَميعَ مَشاعِرِنا ، ولمَّا قلْتُ كَلامًا أطْرُدُ بِهِ الشَّياطينَ سَمعتُ قَائلاً يقُولُ :

يامَعْشَرَ الجنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعتُم .. فَصرخُوا جَميعاً فى وَجْهه ، وقالَ قَائلُهم :

– ياحَجاجُ إنَّكَ كَفرْتَ بآلهتِنَا ، وخَرَجْتَ عَنْ عِبادَتِنا ، وتَركْتَ دِينَ آبائِكَ وأجْدادِكَ .

– إنَّ هَذا الكَلامَ مِنْ كَلامِ مُحمدٍ الذِى يقُول إنَّه أُنْزِلَ علَيهِ وأنْتَ تَعلمُ أنَّ مُحمدًا قَد سَفَّه عُقُولنا ، وسَبَّ آلهتَنا ، وخَرَجَ علَينَا .

فقَالَ الحجَّاجُ :

– ياقَومُ ، واللهِ لَقَد سَمعتُه وسَمِعه أصْحابِى مَعِى .

ورَكبَ الحجَّاجُ ناقتَه سِرًّا ، وانْطلقَ بهَا إلَى رسُولِ اللهِ – علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام – بِالمدِينَةِ ، ولَم يُخبِرْ أحَداً بمَا عَزَم علَيهِ ، ولَم يَعْرِفْ إنْسانٌ أنَّهُ خَرَج لِيَلْحَقَ بمُحمَّدٍ عَليهِ السَّلامُ بالمدِينَة .

لَمْ تَعرفْ زَوْجتُهُ ، ولَم يَعْرِفْ أقْربُ النَّاس إليهِ .

دَخَل الحجَّاجُ المدِينَة المنَوَّرةَ ، وذَهبَ إلَى رسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم – ودخَلَ فى دِينِ الإسْلامِ . لأنَّ الله حَرَّكَ فيهِ عاطِفةَ الإيمانِ إذْ سَمَع آياتِ القُرآنِ الكَريمِ .

وكانَ دُخُوله إلَى المدِينةِ فى السَّنةِ السَّابعةِ للهِجْرةِ وقَدْ بدأ الرَّسولُ عَليهِ السَّلام يُعدُ العدَّةَ لحرْبِ اليهُودِ ، الَّذينَ كثُرَتْ خِياناتهُم ، وتوالَتْ عَلى المسْلمينَ شُرورُهُم ، وَصارُوا حَرباً عَلى الإسْلامِ ، يُريدُونَ أنْ يطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْواهِهِم ، ولكنَّ اللهَ لابدَّ أنْ يُتِمَّ نُورَه .

كانَ اليَهودُ يسْكنُون (خَيبْرَ) فقَصد إلَيها رسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ مَعَ جَيشِهِ ، وحَاصَرها سبْعَ عَشْرة لَيلةً ، ثمَّ فتَحَها ومَلَكَ أرْضَها وأَسرَ كثيراً مِنْ أهْلها .

ثمَّ طَلبَ اليَهودُ مِنَ النَّبىِّ عَليهِ السَّلامُ أَنْ يتْركَ لَهمُ الأَرْضَ ليزْرَعوها مُناصَفةً بيْنَهمْ وبَينَ المسْلمِينَ ، فأجَابهُمْ إلَى ماطَلَبُوا .

فَرِحَ المسْلمُونَ فى المدِينةِ بنَصْرِ اللهِ فرحاً عَظيماً لأَنهمْ كثيرًا ماصَبرُوا علَى شَرِّ اليَهودِ ، واحْتَملُوا مِنْهم أذًى شَدِيدًا .

* * *

وكانَ الكُفَّار فى مَكَّة فَرِحينَ ؛ لأنَّ مُحمدًا دَخلَ فى حَربٍ مَعَ اليَهوَدِ ، وهُم فى شَوقٍ شَديدٍ إلَى أنْ يسمَعُوا أخْبارَ هٰذهِ الحرْبِ ، وهُم أشدُّ شَوقاً أنْ يَسمعُوا أنَّ اليَهودَ قَد غَلبُوا مُحمدًا وهَزمُوا جَيشَ المسْلمِينَ .

كانَ كفَّارُ مَكَّة يقُولُونَ إنَّ اليهَودَ فى خَيْبَر لَهمْ حُصونٌ شَامخَةٌ ولَديْهم أسْلحةٌ قَاتلةٌ ، وأَنهمْ .... وأَنهم .. فإذا دخَلَ مُحمدٌ مَعهم فى حَربٍ فَلا شكَّ أَنهمْ سَيَنْتَصرون عليهِ ، ويَهْزمُونه ، وبذٰلكَ يَستَريحُ الكُفَّار مِنَ الدَّعوةِ الجديدَةِ الَّتى جاءهُم بهَا مُحمدٌ عَليهِ السَّلامُ .

ولكنَّ اللهَ خيَّبَ ظَنَّ هؤلاءِ الكافِرينَ ، فانْتَصر مُحمدٌ على اليهُودِ ، وكانَ سُرورُ أهْلِ المدِينَةِ بهذا النَّصْرِ كَبيرًا .

وكانَ مِنَ المحارِبينَ فى جَيْشِ المسْلمينَ الحجَّاجُ السُلمىُّ .

ورجَعَ جَيْشُ المسْلمينَ إلَى المدِينَة بَعْد انْتصارِهم ، ولكنَّ الحجَّاجَ لم يَرْجعْ مَعهُمْ إلَى المدِينَة ، بَلِ استَأْذنَ رسولَ اللهِ فى أَنْ يذْهَبَ إلَى مَكَّة .

ولمَّا سأَلهُ رَسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ ، عَنْ أسبابِ رجُوعِهِ إلَى مَكَّة قالَ لَهُ :

– يارَسولَ اللهِ ، إنَّ لى مالاً كَثيراً فى مَكَّة ، ولَو عَلم أهْلُها بأنَّى أسْلمتُ ، وحَاربتُ مَعَ المسْلمِينَ لضَاعَ علىَّ هَذا المالُ ، وحَرَمنى أهْلُ مَكَّة مِنهُ .

كَما إنِّى أَدَّخِرُ عِنْد زَوْجَتى (أمِّ شَيْبَة بنْتِ طَلْحة) حَاجِبِ الكَعْبةِ مَالاً كَثيراً . وهىَ أشدُّ النَّاسِ عَداوةً للإسْلامِ .

وإنِّى لحَرِيصٌ عَلى اسْتِردادِ أمْوالِى كلِّها لأنْفِقَها فى سَبيلِ اللهِ .

والرَّسولُ الكَرِيمُ صاحِبُ ذَكاءٍ وفِطْنَةٍ فلَم يغبْ عنهُ ذَلكَ فأَذنَ للحجَّاجِ أَنْ يعودَ إلَى مَكَّة ؛ ليجْمَعَ مَالَه الكَثِيرِ ، ثمَّ يعودَ .

وَلَكِنَّ الحجَّاجَ استأْذنَ النَّبىَّ عليهِ السَّلامُ فى أمْرٍ آخَرَ .

ماهُوَ هَذا الأمْرُ ؟

استأْذنهُ أَنْ يَشْتُمَ المسْلمِين ويَسُبَّهُم أَمامَ كفَّارِ مَكَّة ، وأَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ رَسولَ اللهِ قَد ماتَ فى غَزوةِ خَيبرَ ، وأَنَّ اليَهودَ قَتلوهُ فى الحرْبِ ! !

فابتَسَم الرَّسولُ ابْتسامَةَ الرِّضا ، وأَذِنَ لهُ .

* * *

رَكبَ الحجَّاجُ ناقتَه إلَى مَكَّة ، وفى نَفْسِه أمَلٌ كَبيرٌ فى أنْ يسْتولىَ عَلى جَميعِ أمْوالِه ، ثمَّ يعودَ إلَى رِحابِ المسْلمِينَ فى المدينَة ويَسْعدَ بجَوارِ رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ .

وصَلَ الحجَّاجُ إلَى مَكَّة ، وانتَقَل خَبرُ عودتِه إلَى جَميعِ قُريشٍ وقَدْ كانُوا مِنْ خَبَرِه فى ضَلالٍ ، بعْضُهم يقُولُ : إنَّهُ مَاتَ ، وآخرُونَ يقولُونَ إنَّه ضَلَّ .. وهَكَذا .

ولمَّا وصَل إلَيهم فَرِحُوا برجُوعهِ ، واطْمأنُّوا إلَيهِ ، ورَحَّبوا بهِ ، ثمَّ التفُّوا حَولَه يسْألونَه :

– أيْنَ كُنتَ ياحَجاجُ ؟

فيقُولُ الحجَّاجُ :

- إنَّ عِندِى مِنَ الأخْبارِ مايَسرُّكُم ، لَقَد شَهدتُ قتالَ مُحمدٍ فى خَيْبَرَ وقدِ انْهزَم أصْحابُ مُحمدٍ شرَّ هزيمةٍ ، وأُسِرَ مِنْهمْ خَلقٌ كَثيرٌ ، حتَّى مُحمَّد نَفْسهُ ، وقَع أسيرًا فى يَدِ اليَهودِ .

ثمَّ يَزيدُ الحجَّاجُ فى مُبالغَاتِه ، وادِّعاءاتِهِ فيقُولُ :

- إنَّ اليهودَ قالُوا لنْ نَقتْلَ مُحمدًا بأيْدِينا ، ولَكنَّنا سَنُسلِّمه إلَى أهْلِ مَكَّة ، ليَفعلُوا بِهِ مايُريدُونَ .

وهنَا يَصيحُ المشْرِكونَ فَرحينَ بذَلكَ النَّصْرِ الذِى أتاهُم وهُم فى بَلَدِهم آمِنُون .

وينْتهِزُ الحجَّاجُ هَذا الفرَحَ ، ثمَّ يتقدَّم إلَى مَن عِنْدَهم مَالُه فيُطالبُهمْ بما عنْدَهم لَهُ مِنْ مالٍ ويقُولُ لَهمْ :

- أسرعُوا بردِّ مَالى حتَّى أُسافِرَ فوْرًا إلَى خَيْبَر . فأشْتَرىَ تجارَةً ممَّا أخذَهُ اليهودُ مِنَ المسْلمِينَ ، وسَأرْجعُ إلَيْكم مُسْرِعًا بِربْحٍ كَبيرٍ .

وَيتَسابَقُ أهْلُ مَكَّة إلَى ردِّ الأمْوالِ إلَى الحجَّاج ، لِيُسْرِعَ فيَشْتَرِىَ ممَّا غَنمَهُ أهْلُ خَيْبَر فى حَربِهمْ مَع المسْلمِينَ .

وامْتلأتْ أرْجاءُ مَكَّة كلُّها بخَبرِ هَزيمةِ المسْلمِينَ ، وانْتصار اليهُودِ عليهِم فى خَيْبر ، فَفرِحَ الكفَّارُ ، وذَهبُوا إلَى الأصْنامِ

يُنظِّفونَها ، ويُقدِّمونَ لَها الصَّلوات والقَرابين ، وأقْبلَ بَعضُهم عَلى بَعضٍ مُهنِّئين .

وكانَ فى أنْحاءِ مَكَّة قليلٌ مِنَ المسلْمينَ الذينَ لَم يُهاجِروا إلَى المدينةِ مَعَ رسُولِ اللهِ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فلمَّا سَمعُوا أخْبارَ هَزيمةِ إخْوانِهِم الَّتى شَاعَتْ فى مَكَّة حَزِنُوا حُزْناً كَبيرًا ، وتَقَطَّعَتْ نفُوسُهم حَسَرات ، وكانَ أكْبرُ تَفكيرِهم فى الرَّسولِ الحَبيبِ ، كَيفَ يأسِرُهُ اليَهودُ ؟ وكيفَ سَيسُلِّمونَه إلَى كُفَّار مَكَّة ؟

إنَّهم يَودُّون جَميعاً لو يُقَدِّمُون نُفُوسَهُم فِداءً لهُ .

ولٰكنَّ اللهَ بَعثَ الصَّبْرَ إلَى قُلوبِهِمْ ، فسكَنُوا عَلى هَمٍّ وقَلَقٍ .

* * *

أمَّا العبَّاسُ بنُ عَبْد المطَّلبِ ، عمُّ النَّبى عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فكانَ فى حُزْنٍ وحَسْرَةٍ ، لَكنَّه شَغَلَ نَفْسَه ، فَلَم يُظْهِر حُزْنَه ، ولاقَلَقَه ، وصارَ يُقابِلُ كلَّ مَنْ يَأتى إلَيهِ مُسْتفهِمًا عمَّا حَصَل لمحمدٍ وأصْحابِهِ ، ويَتكلَّفُ أمامَه الثَّباتَ والاطْمِئْنانَ .

وفى اللَّيلِ دَعا غُلامَهُ وقالَ لَه :

– اذْهَبْ إلَى الحجَّاجِ ، وقلْ لَه : إنَّ العبَّاس يُقرِئكَ

السَّلامَ ، ويقُولُ لكَ : اللهُ أجَلُّ وأكْرَمُ منْ أنْ يَكونَ ما حدَّثتَ بهِ حقًّا .

جَاء غُلامُ العبَّاسِ إلَى دارِ الحجَّاجِ فقالَ لهُ ماكلَّفهُ بِه سيِّدهُ فانْفردَ بهِ الحجَّاجُ وقالَ لَه :

– ياأبا زَبيبةَ ، ارْجعْ إلَى سيِّدك العبَّاس ، وقلْ لهُ : إنَّ الحجَّاجَ يُريدُ أنْ يختلىَ بكَ فى منْزلكَ ، فاجْعلَ لهُ وقتًا يجىءُ فيهِ .

وينْفلتُ (أبُو زَبيبة) غلامُ العبَّاس فرِحًا مُسرعاً إلَى سيِّده قائلاً لهُ ماقالهُ الحجَّاجُ .

* * *

جاءَ الحجَّاجُ واختَلَى بالْعبَّاسِ ، وقالَ لهُ الحقِيقَة كمَا كانَتْ ، وكمَا وقَعتْ ، أخْبرَه كيفَ انْتصر المسلْمُون علَى اليَهودِ فى خَيبرَ ، وكَيفَ قتلُوا زَعيمهَم (حُيىْ بن أخْطَب)

ثمَّ قالَ لَه :

– إنِّى استأْذنتُ مِنْ رَسولِ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ أنْ أجىء إلَى مَكَّة ، وأقُولَ مَاقلْتُ حتَّى أستردَّ مالى ، وأسْترْجعَ ماادَّخرتُه فى مَكَّة ، لأنْفقَه فى سَبيلِ اللهِ ، فأذِنَ لى .

فَسُرَّ العبَّاسُ بذٰلكَ كثيرًا ، وقامَ إلى الحجَّاج فعانَقهُ ، ودَعا لهُ بالخَيْرِ .

وكَتَم العبَّاسُ فى نَفْسِه ماسَمِعَ مِنَ الحجَّاجِ ، ولَم يُظْهِرْهُ للمشْرِكينَ حتَّى يأمَنَ الحجَّاجُ عَلَى نَفْسِه ومَالِهِ ، ثمَّ يعُودَ إلَى رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ بالمدينةِ واستَمرَّ المشْرِكُونَ يتَقابَلُونَ مَعَ العبَّاسِ ؛ ويُظْهِرونَ لَه الشَّماتَةَ بابنِ أخِيهِ محمدٍ فيسْكُتُ .

أمَّا المسْلمونَ فى مَكَّة فلَم يُخبِرْهمُ العبَّاسُ بشَئٍ مخَافَةَ أنْ يتسَرَّبَ الخبَرُ فى أنْحاءِ مَكَّة فينالُ الحجَّاجَ مِنْ ذَلكَ شرٌّ .

* * *

جَلَس الحجَّاجُ مَعَ زَوجتِه (أُمّ شيبَة) فى آخرِ ليلةٍ عزَمَ عَلى أنْ يَقْضِيهَا فى مَكَّة ، ثمَّ قالَ لَها :

– أبْشِرى ياأمَّ شَيْبَة ، سأُسَافِر الليلةَ إلَى خَيبَر ، قَبْل أن يَسْبِقَنِى التُّجارُ الَى شَراء الغنَائِم ، فَسأشْتَرِى مِنْها ماأقْدِرُ عَليهِ ، ثمَّ أعُودُ بقَافلةٍ مُحمَّلة مِنْ كلِّ شىءٍ ، وبذٰلكَ سَنكُونُ مِنْ أغْنَى النَّاسِ فى مَكَّة ، وسَأجْلبُ لَكِ كلَّ ماتُحِبينَه ، وكُلَّ ماترْغبينَ فيهِ ، حتَّى لايَكونَ فى مَكَّة كلِّها امْرأةٌ أيْسَرَ حالاً مِنْكِ ، ولا أعزَّ مَكانَةً وعِندَ ذَلكَ تقُومُ أُمُّ شَيبَةَ ، وتُعْطيه كلَّ ماادَّخروهُ مِنَ

المالِ ، وتَسْتَحْلِفُه بالأصْنام ألاَّ يغيبَ ، وأن يُسْرِعَ فى جَلْبِ التِّجارةِ ، وتَدْعو لَهُ أنْ يَعُودَ سَالمًا غانمًا الرِّبحَ الكَثِيرَ .

* * *

يَخْرجُ الحجَّاجُ مِنْ مَكَّةَ يَرْكَبُ نَاقتهُ ، ويَحْملُ مَعهُ المالَ الذِى جَاءَ مِنْ أجْلهِ ، يَخْرجُ والنَّاسُ فى مَكَّة ، يودِّعُونَه آمِلينَ أنْ يَعودَ إلَيهِم مُسْرِعًا بِرْبحٍ عَظيمٍ .

يُسْرِعُ الحجَّاجُ بناقَتِه ، قاصِداً صوْبَ المدينةِ المنَوَّرةِ حَيْثُ يَنْزِلُ الرَّسولُ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عَليهِ .

مَرَّتْ بعْضُ ليالٍ بَعْد أن سَافَر الحجَّاج إلَى المدِينةِ ، ثمَّ قَصَد العبَّاسُ إلَى (أُمَّ شَيْبة) وقالَ لَها :

– ياأُمَّ شَيْبة ، أينَ الحجَّاجُ ؟

فقَالَت زَوجَتُه أُم شَيْبَةَ :

– سافَرَ ليشْترِىَ لنَا ماأخَذَ اليهودُ مِنْ جَيشِ المسْلمِينَ .

فيَضْحَكُ العبَّاسُ (رَضىَ اللهُ عنهُ) ويقُولُ :

– أيتُها المَخْدُوعَةُ ، ضاعَ مِنكِ الزَّوجُ والمالُ إنَّكِ غارِقةٌ فى أحْلامٍ !!

فتُدْهشُ (أم شَيْبة) وتقُولُ للعبَّاسِ :

– ماذا تَقولُ ياعبَّاسُ ؟

فيقُولُ لَها « رَضِيَ اللهُ عنْهُ » :

– إنَّ زوجَكِ قدْ أسْلَم ، وسافرَ ليلْحقَ بمحَمَّدٍ وأصْحابِه . وقدْ خدَعكم ياأهْلَ مكَّة ليسْتردَّ أمْوالَه .

فَقالَتْ أمُّ شَيْبة فى حُزْن :

– ياابنَ العَمِّ ماأرَاكَ إلاَّ صَادقاً ، ولَكن مَنْ أخبركَ بهٰذا ؟

فقالَ العبَّاسُ :

– الحجَّاجُ هُوَ الَّذى أخْبَرنى ياأُمَّ شَيْبَة .

فانْطلقَت أمُّ شَيْبَةَ إلَى أهْلِها حَزِينةً باكيةً مُوَلْوِلَةً ، فَقَدَ ضَاعَ مِنْها زَوْجُها ، وضَاعَ مِنْها مالُها .

* * *

أمَّا العبَّاسُ ، فَقَال للمسْلمِين مايَعْرِف ، فَسَرَّهُم بَعدَ حُزْنٍ ، وفَرَّحَهُم بَعدَ مانَالَهم مِن الغَمِّ والحَسْرة ، وانْتَشَرَت فِيهم بَوادرُ النَّصرِ ، فكَانَتْ لَهم أمَلاً ونُورًا .

وسَارَ العبَّاسُ إلَى الكَعْبَةِ ، فوجَدَ الكُفَّار يتقَوَّلونَ ، ويَكذِبونُ ومنْهُم مَنْ يَسْجد للصَّنَم ، ومَنْ يَتقَرَّبُ إلَى الحجَر .

فقالَ لَهمُ العبَّاسُ :

– هَلْ أتاكُم الخبرُ فى موقعةِ خَيْبر؟
قالُوا :
– أتانا الخبرُ الصَّادقُ ، إنَّ المسْلِمِينَ هُزِمُوا ، وإنَّ مُحمدًا أَسِيرٌ عِندَ اليَهودِ ، وسَيأْتُونَنا بهِ عمَّا قَريبٍ – هُنَا فى مَكَّةَ .
قالَ العبَّاسُ :
– إنَّكُم علَى ضَلالٍ وكَذِبٍ .
قال الكفَّارُ :
– كَيفَ ذَلكَ ياعبَّاسُ ؟
قالَ العبَّاسُ رَضِىَ اللهُ عنهُ :
– إنَّ مُحمدًا رسُولُ اللهِ قدِ انْتَصَرَ علَى يَهُودِ خَيْبَر ، وقَتلَ كِبَارَهُمْ ، ومَلَّكَ المُسْلِمُون أرْضَهم ، وأَسَروا كَثيراً مِنَ الرِّجالِ ، والنِّساء ، وتزوَّجَ رسُولُ اللهِ صَفِيَّةَ بنْتِ حُيَىٍّ ابن أَخطَبَ زَعيمهُم .
فقالَ الكُفَّارُ :
– إنَّكَ لكاذِبٌ ياعبَّاسُ !؟ ومَنْ أَخبرَكَ بهذا ؟
فَقَالَ العبَّاسُ :
أخْبَرنى الحجَّاجُ السُّلَمىُّ واعْلَموا أنَّه قَدْ أَسْلَم ، واشْتَرَكَ مع

مُحمدٍ فى غَزْوَةِ خَيْبَر ، وأ نَّه جاءَ مِنَ المدينةِ إلى مَكَّة بَعْد أنِ استأْذنَ مِنْ رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ ؛ ليسْتردَّ أمْوالَه مِنْكُم .

دُهِشَ القَومُ لذٰلكَ الخبرِ المُؤْلمِ الذِى أنْزَلَهُ العبَّاسُ عليْهِمْ نُزول الدَّاهِيَةِ ، فَقَلب فَرحَهُمْ بِنَصْر اليَهودِ عَلى مُحمدٍ حُزْناً ، أصَابَ مِنهُم الصَّميمَ ، وأقْبلَ بعْضُهم يُحدِّث بعْضًا بمِا صَنع الحجَّاجُ ، ثمَّ ذَهبُوا إلَى امْرأتهِ « أُمّ شَيْبة » فَوجَدُوها فى حُزْنٍ وعَويلٍ عَلى مافرَّطتْ فى المالِ ، وماخَدَعهَا بهِ زوجُها الحجَّاجُ ومَاآلَ إليهِ أمْرُهُ بَعدَ إسْلامِه ، وأنَّهُ سيَتزوَّجُ غَيْرها خَيْرًا مِنْها .

❊ ❊ ❊

وقَدِمَ الحجَّاجُ إلَى المدِينَة وعاشَ بِهَا ، فى جِوارِ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم ، وبنَى بهَا دارًا ، ومَسْجِدًا ، يُعْرفُ بهِ وحَضَر بقيَّة الغَزوات مَعَ المسْلمينَ فى رِكابِ مُحمدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .